آلام متزايدة

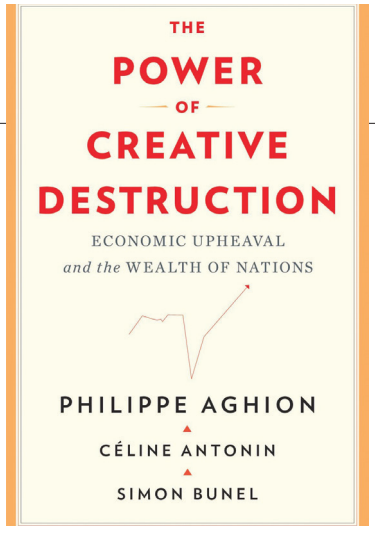

فيليب أغيون، وسيلين أنتونين، وسايمون بونيل
قوة الهدم الخلاق: الاضطرابات الاقتصادية وثروات الأمم
Philippe Aghion, Céline Antonin, and Simon Bunel
The Power of Creative Destruction: Economic Upheaval and the Wealth of Nations
Belknap Press,
Cambridge, MA, 2021, 400 pp., $35.00

من السهل أن نرى إخفاقات الرأسمالية الحديثة وقد تجسدت في ازدياد عدم المساواة، وكساد ما بعد الأزمة المالية، وعدم كفاية الاستجابات لمواجهة تغير المناخ، وفي الوقت الحالي جائحة كوفيد-١٩. ولا تقدم الأحزاب السياسية ثنائية القطب سوى فرصة الاختيار بين رؤيتين مختلفتين لدولة أقوى. ويبدو أن الكل تقريبا متفق على أن هذا هو الوقت المناسب لتوجيه ضربة قاضية للشركات التكنولوجية العملاقة.

وفي كتاب «قوة الهدم الخلاق: الاضطرابات الاقتصادية وثروات الأمم» يرى المؤلفون فيليب أغيون، وسيلين أنتونين، وسايمون بونيل أننا كنا ننظر لهذا الأمر بصورة خاطئة. ففي نموذج الاقتصاد الكلاسيكي المحدَّث الذي يتسم بقوة تأثيره، يوجد مصطلح غامض يعرف باسم «الإنتاجية الكلية لعوامل الإنتاج» هو الذي يتحكم في مدى كفاءة الاقتصاد في تحويل المدخلات مثل رأس المال والعمالة إلى مخرجات. وتقبع أسرار النمو طويل الأجل في هذا «الصندوق الأسود» الذي يلفه عدم الوضوح.

ويستند هذا الكتاب إلى برنامج للبحث الأكاديمي استمر على مدار عقود طويلة استعان به المؤلفون، إلى جانب مؤلفين مشاركين وطلبة، في فتح هذا الصندوق الأسود. وعلى نهج الاقتصادي جوزيف شومبيتر الذي ينتمي لبدايات القرن العشرين، يؤكد المؤلفون أن النمو يتحقق عندما يبتكر رواد الأعمال، فيخلقون سلعا جديدة ويرفعون مستوى الإنتاجية لكنهم في الوقت نفسه يتسببون في هدم الوظائف والشركات القائمة.

ولو أن التاريخ الاقتصادي بالنسبة لتوماس بيكيتي هو قصة «أنظمة عدم المساواة» (في كتابه «رأس المال والآيديولوجيا»)، فإن التركيز هنا ينصب على النمو ومنافعه. وبفضل نمو الإنتاجية المستمر، شهد العالم زيادات ملحوظة في مستوى الرفاهية منذ الثورة الصناعية، وبفضل النمو في الصين والهند والعديد من الاقتصادات النامية الأخرى، انخفضت معدلات عدم المساواة العالمية.

وبالنسبة لأغيون وزملائه، فإن ازدياد النمو –وتحسن جودته– هو الحل لمشكلاتنا الراهنة، ونموذج «الهدم الخلاق» يفسر كيفية تحقيق ذلك. فأسواق الصادرات تكافئ الأكثر ابتكارا، بينما تجلب الواردات والاستثمار الأجنبي المباشر أفكارا جديدة وتجلب المنافسة التي تحفز أفضل الشركات على مواصلة رفع كفاءتها. وتوفر الأسواق المالية النشطة رأس المال الذي تحتاجه الشركات الجديدة الناجحة للازدهار والتوسع. ومكافحة تغير المناخ تستدعي القيام بثورة تكنولوجية خضراء. وفي هذا السياق ينبغي تقبُّل قدرا كبيرا من انعدام المساواة بل الاحتفاء به باعتباره ثمنا لتحفيز الابتكار.

ويمثل نموذج الهدم الخلاق كذلك عاملا مساعدا لتوجيه مسار السياسات الاقتصادية. فينبغي للحكومات حماية براءات الاختراع، وتجنب الإفراط في فرض الضرائب، وتأمين الخاسرين من جراء الجزء الهدام في عملية الهدم الخلاق، وتزويد أسواق العمل المرنة بسياسات سوق العمل «النشطة» لمساعدة المواطنين في العثور على وظائف جديدة، ودعم الأبحاث الأساسية. وينبغي كذلك أن تتجنب استدراجها لدعم مبتكري الأمس وهم يحاولون ترسيخ مركزهم، وهو أمر أكثر سهولة في أي بلد ديمقراطي.

غير أن كتابا بمثل هذا النطاق الواسع سيثير حتما التساؤلات. هل سياسات سوق العمل «النباتية المرنة» [أسوة بالنظام الغذائي شبه النباتي «Flexitarian»] كافية بالفعل لتلبية احتياجات الخاسرين من جراء الهدم الخلاق؟

> بالنسبة لأغيون وزملائه، فإن ازدياد النمو –وتحسن جودته– هو الحل لمشكلاتنا الراهنة.

وهل تواجه الصين «فخ الدخل المتوسط» المتمثل في إخفاق التحول إلى النمو المدفوع بالابتكار، كنتيجة جزئية للاختلال بين قوى الدولة والسوق والمجتمع المدني، وفقا لما يشير إليه هذا الكتاب؟

غير أن هدف هذا الكتاب ليس الإجابة عن كل التساؤلات وإنما توجيه اهتمامنا إلى الاتجاه الصحيح. فالاستعارات المجازية تعمل على صياغة رؤيتنا للأمور. ولكن عبارة «اليد الخفية» لا تبدو كافية للتعبير عن التحديات التي تواجهنا حاليا. كما أن عبارة «الهدم الخلاق» ليست بلا شك العدسة المشجعة تماما لفهم القضية، ولكن هذا الكتاب يطرح حججا تتسم بالثراء والقوة يمكننا الاسترشاد بها لفهم الرأسمالية بصورة أفضل. FD

آندرو بيرغ، نائب مدير معهد صندوق النقد الدولي لتنمية القدرات